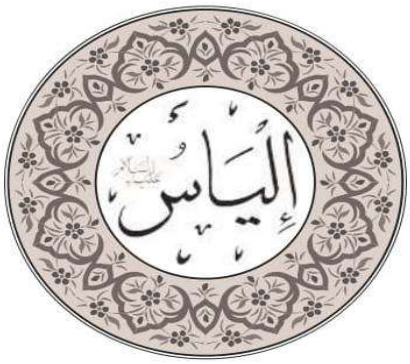

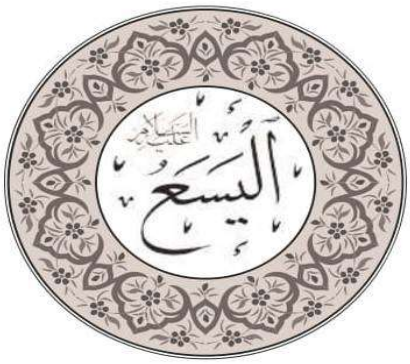

قصّة إلياس واليسع

عليهما السلام

جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة الكلمة © 2020

www.alanbiya.org

مدخل إلى قصّة إلياس واليسع (عليهما السلام)

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الصافات: 123]
﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ [سورة ص: 48]

عاش النبي إلياس (عليه السلام) في مملكة السامرة الشمالية في القرن التاسع قبل الميلاد خلال فترة حكم الملك آخاب الشرير. تزوّج الملك آخاب من إيزابال بنت الملك أثْبَعَل الوثني من مملكة صيدا. وكانت هي ووالدها يتعبدان الإله بعل، حيث حثّت الناس من بني يعقوب على عبادة البعل وسعت إلى قتل العديد من أنبياء الله.

وقاوم النبي إلياس الملك آخاب والملكة إيزابال وكهنة البعل، وفي النهاية نصر الله النبي إلياس وسقط أكثر كهنة بعل أمواتا. وجاء ذكر هذا الحدث في سورة الصّافات في القرآن: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٢٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٢٩) سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ (١٣٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٣٢)﴾ [سورة الصافات: 123-132].

وعلّم النبي إلياس وأرشد جماعة من الأتباع وهم متصوّفون منجذبون بالروح (انظر كتاب الملوك الثاني 2: 3). وأجرى الله معجزات كثيرة على يدي النبي إلياس، فأحيا الموتى بإذن الله ومنع المطر من السقوط على مدى ثلاث سنوات ونصف وجعل الطعام يتكاثر بطريقة خارقة وطلب نزول النار من السماء.

وعند اقتراب نهاية مهمّة النبي إلياس، رفعه الله إليه في زوبعة. ويقول الطبري في تاريخه بعد ذهاب النبي إلياس إلى الغيب: "وطار في الملائكة،

فكان إنسيًا مَلاكيًا أرضيًا سمائيًا". وبعد عصر النبي إلياس بسنوات كثيرة أوحى الله إلى النبي ملاكي أنّ إلياس سيعود من الغيب: ((قالَ اللهُ تَعالى: ها أنا أُرسِلُ إلَيكُم النَّبيَّ إلياسَ قَبلَ حُلولِ يَوم اللهِ العَظيمِ المَهيبِ فَيُعيدُ الأُلفةَ والمَحَبّةَ بَينَ الآباءِ والأبناءِ، وإلاّ فسَتَظهَرُ تَجَليّاتي وأَضرِبُ الأرضَ بِلَعنةٍ)) [كتاب النبي ملاكي 4: 5-6].

وبعد مرور قرون من الزمن وتحديدا في القرن الأوّل للميلاد، انتظر كثير من اليهود عودة النبي إلياس من الغيب قبل ظهور المسيح المنتظر. وسأل الناس سيدنا عيسى (سلامه علينا) حول هذه المسألة، إذ جاء في الإنجيل: ((فسَألوهُ عَن ذلِكَ قائلينَ: "لماذا يَقولُ عُلماءُ التّوراةِ إنّ مَجيءَ النَّبيِّ إلياسَ سَيكونُ قَبلَ مَجيءِ المَسيحِ المُنتَظَرِ؟" فأجابَهُم قائلاً: "نعم. يَجيء النَّبيُّ إلياسُ أوّلاً ويُصلِحُ أُمورَ البَشَرِ. ولكنّ كِتابَ اللهِ يَقولُ أيضًا إنّ سَيِّدَ البَشَرِ سيَلقَى الأذى مِنَ النّاسِ وسيَنبُذونَهُ. وأقولُ لكُم إنّ إلياسَ قد جاءَ فِعلاً، وأساؤوا مُعاملتَهُ، كَما جاءَ عنهُ في كُتُبِ الأنبياءِ)) [الإنجيل، مرقس 9: 11- 13].

وقصد السيد المسيح بهذه الكلمات أنّ النبي يحيى (عليه السلام) قد حقق بظهوره وعود الله المتعلقة بالنبي إلياس وفق كلمات الملاك جبريل الموجّهة لزكريا عن يحيى (عليهما السلام): ((وَسَيَتَقَدَّمَ أمامَ مَولاهُ بِرُوحِ إلياسَ وقُوّتِهِ)) [الإنجيل، لوقا 1: 17].

أمّا النبي اليسع (عليه السلام) فجاء وحي من الله إلى النبي إلياس بخصوصه على جبل سيناء، حيث أمر الله إلياس بمسح اليسع بالزيت دليلا على أنه أصبح خلفه المختار. فذهب النبي إلياس وعندما وجد اليسع ألقى عباءته على كتفيه علامة على أنه سيخلفه. وأصبح النبي اليسع معاونا للنبي إلياس طيلة فترة امتدت من سبع إلى ثماني سنوات، أي حتّى حلول موعد رفع النبي إلياس إلى السماء. ولكن قبل اختفاء النبي إلياس إلى الغيب سأل اليسع (عليه السلام) قائلا: ((ماذا عساي أن أفعل لك قبل أن يرفعني الله عنك؟)) فأجاب النبي اليسع وطلب ضعف قدرات إلياس الروحية. ويرى بعض الباحثين أنّ هذه الكلمات تشير إلى الميراث المضاعف عند الابن البكر، وهذا دليل على أنّه الوريث الرئيسي في العائلة. ولكن البعض الآخر من المفسّرين يرى أنّ المشار إليه هنا ضعف المعجزات، حيث يذكر الكتاب المقدس أنّ اليسع قام

بإجراء ضعف المعجزات التي أجراها النبي إلياس.
وورد ذكر النبي اليسع مرّتين في القرآن في الآية 48 من سورة ص والآيتين 86 و87 من سورة الأنعام. وذكر السيد المسيح كلاّ من إلياس واليسع (عليهما السلام) كما ذكر معجزات الشفاء وإطعام الغرباء التي جرت على أيديهم. وكان السيد المسيح يقصد من ذكر هذه المعجزات أن يقرّ لمستمعيه اليهود أنّ محبّة الله ورحمته تشملان جميع الشعوب والأمم (الإنجيل، لوقا 4: 24-30).

بسم الله تبارك وتعالى

قصّة إلياس واليسع (عليهما السّلام)

النبي إلياس (عليه السّلام) والجفاف[١]

كان في بلدة تِشْبي في جبال جِلْعاد التابعة لمملكة السامرة نبي اسمه إلياس (عليه السلام)[٢]، وذات يوم أوحى الله إليه أنّه رسولٌ إلى الملك آخاب[٣] وعليه أن يبلّغه ما يلي: "أنا من عباد الله الحيّ القيوم، وأقسم بالله الذي يعبده بني يعقوب، لن ينزل غيثٌ من السماء ولا ندى طوال هذه السنوات إلاّ بأمر منّي".

ثم أوحى الله إليه: "اذهب ناحيّة مشرق الشمس، واتّخذ من وادي كريت مخبأ يخفيك، في الضفة الشرقية لنهر الأردن، إنّ في مياهه ما يسقيك، وفي الطعام الذي يحضره الغربان بأمري ما يكفيك". فأطاع النبي إلياس أمر ربّه وأقام عند وادي كريت. وكان يجد في النهر ما يرويه، والغربان صباح مساء من خبز ولحم تأتيه. وبعد فترة أصاب النّهر الجفاف، فقد انحبس المطر في جميع أرجاء الأرض.[٤]

---

(١) استنادا إلى كتاب الملوك الأول 17: 1-7.

(٢) يقول ابن كثير في كتابه "البداية والنهاية": إنّ إلياس وإل ياسين اسمان لرجل واحد فالعرب تلحق النون في أسماء كثيرة وتبدلها من غيرها.

(٣) انظر سورة الصافات: 123.

(٤) ذكر الطبري في تاريخه: "حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: ذكر لي أنه أوحي إليه: إنا قد جعلنا أمر أرزاقهم بيدك وإليك؛ حتى تكون أنت الذي تأمر في ذلك. فقال إلياس: اللهمّ فأمسك عنهم المطر. فحبس عنهم ثلاث سنين حتى هلكت الماشية والدوابّ والهوامّ والشجر، وجَهِد الناس جهدًا شديدًا. وكان إلياس - فيما يذكرون - حين دعا بذلك على بني إسرائيل قد استخفى شفقًا على نفسه منهم، وكان حيث ما كان وضع له رزق."

إلياس (عليه السّلام) في بلدة الصرفند[٥]

ثمّ أوحى الله إلى النبي إلياس: "اذهب إلى بلدة الصَرَفَنْد المجاورة لمدينة صَيدا واتّخذ فيها مقاما، وستعطيك أرملة هناك بأمري شرابا وطعاما".[٦] فتوّجه (عليه السّلام) إلى الصرفند، وحين بلغ باب المدينة أبصر أرملة تجمع حطبا، فناداها قائلا: "أعطني شربة ماء". وعندما ذهبت لتُحضر الماء، ناداها مرّة أخرى قائلاً: "وأعطني قطعة خبز أيضا". فقالت: "أقسم بالله ربّك ما عندي خبز يكفيك ويكفيني، إنّ هي إلاّ حفنة دقيق في وعاء، وقليل من الزيت في كوز، وها أنا أحمل هذا الحطب لأصنع بناره وجبتي الأخيرة لي ولابني. ثم أبقى جائعة مع ابني في انتظار أن يأتينا الموت". فطمأنها إلياس (عليه السّلام): "هوّني عليكِ! اِذهبي واخبزي ما بقي لك من الدقيق، لكن عليكِ أوّلاً أن تعطيني منه قرصا صغيرا، وبعد ذلك يمكنك أن تأكلي أنتِ وابنكِ. فالله الذي يعبده بنو يعقوب يقول في وعده: لن يفرغ من الوعاء الدقيق، ولن ينقص من الكوز الزيت حتى يُرسل الله على الأرض مطرا". فعادت الأرملة إلى بيتها وفعلت ما أمرها النبي إلياس. وتزايدت كمية المؤونة من دقيق وزيت أيّاما طويلة، وأكل ثلاثتهم منها، ولم تنفد كما وعد الله على لسان نبيه إلياس.

وبعد فترة من الزمن مرض ابن الأرملة مرضا شديدا دفعه إلى الموت. فصاحت الأرملة في وجه النبي إلياس: "يا نبي الله، لماذا فعلتَ بي ما فعلتَ؟ أجئتَني لتكشف ذنوبي وتلقي بابني إلى الموت؟" فأجابها (عليه السّلام): "أحضري ابنكِ إلى هنا". ثمّ أخذ النبي إلياس جثمان الصبي من حضن أمّه وصعد به إلى العُليّة حيث يقيم، ثم مدّده على السرير. واستصرخ ربّه قائلاً: "اللهمّ يا ربّي، لِمَ أنزلت على الأرملة الّتي حللتُ ضيفًا عندها هذا البلاء، وألقيت على ابنها الفناء؟" ثمّ استلقى فوق الصبيّ ثلاث مرّات، واستغاث الله

---

(٥) استنادا إلى كتاب الملوك الأول 17: 8-24.

(٦) أظهر الله اعتناءه بشعب لبنان رغم أنّه لا ينتمي إلى بني يعقوب، فأرسل النبي إلياس لكي يعتني بأرملة هناك. وأشار السيد المسيح إلى المعجزة التي أجراها الله على يدي النبي إلياس كدليل على أنّه تعالى لا يخصّ اليهود فقط برحمته، وهذا ما جعل مستمعي السيد المسيح من اليهود يحتدمون غضبا (انظر الإنجيل، لوقا 4: 25-26).

قائلاً: "اللهمّ يا ربّي، أعد هذا الصبيّ من الممات وابعث فيه الحياة!" فاستجاب الله لدعاء النبي إلياس. وعادت الروح إلى الصبيّ وعاش من جديد.[٧] ثمّ أخذ النبي إلياس الصبيّ ونزل به من العُليّة، وسلّمه إلى أمّه قائلاً: "أُنظُري، لقد عاد ابنك إلى الحياة من جديد!" فقالت الأرملة: "إنّي على يقين أنّك نبيّ ربّ العالمين، وأنّ كلام الله يجري على لسانك لا ريب!"

النبي إلياس وكهنة بَعل[٨]

انحبس المطر ثلاث سنوات، واشتدّت فيها المجاعة في مملكة السامرة، فأوحى الله إلى النبي إلياس: "اذهبْ إلى الملك آخاب وأخبره أنّي سأرسل قريبًا غيثا على البلاد". فأقبل إلياس (عليه السّلام) على الملك آخاب. وكان الملك في الأثناء قد استدعى عُبيد الله المسؤول عن شؤون القصر. وكان عُبيد الله تقيّا يخشى الله، إذ غامر بحياته فأنقذ مئة من الأنبياء، لما عزمت الملكة إيزابال على إبادة الأنبياء نبيّا نبيّا، فأخفاهم في مغارتين خمسين خمسين، وقدّم لهم طعاما وماء. وجاء عُبيد الله إلى القصر يسعى، فقال له الملك: "علينا أن نبحث للخيل والبغال عن مرعىً أو سنذبحها قبل أن تموت جوعا وعطشا، فلنبحث في أرجاء الأرض عند عيون الماء وفي الأودية، لعلّنا نعثر على مرعى". واتّفقا أن يسلك كلّ منهما اتّجاها.

وبينما كان عُبيد الله يبحث عن الكلإ والماء، إذ رأى النبي إلياس (عليه السّلام) مقبلاً عليه فعرفه، ووقف أمامه وانحنى ثمّ قال: "هل أنت فعلاً مولاي إلياس!؟" فأجابه (عليه السّلام): "أجل، أنا إلياس نبي الله. ارجع إلى سيّدك واعلمه بقدومي". فقاطعه عُبيد الله: "يا سيّدي ما الذنب الّذي ارتكبتُهُ حتّى تدفعني إلى الموت على يد الملك آخاب؟ أقسم بالله ربّك، ما من أُمّة ولا مملكة إلاّ وأرسل إليها سيّدي الملك رجاله باحثين عنك. وكان الملك آخاب

---

[٧] نرى هنا كيف أعاد الله هذا الصبي الميت إلى الحياة عن طريق دعاء نبيه إلياس. ومن المعروف أنّ السيد المسيح أعاد الناس من الموت إلى الحياة، وكانت هذه المعجزة نابعة من أمره الخاصّ، كونه كلمة الله وله سلطان يفوق سلطان بقية الأنبياء. يقول المسيح عن نفسه: ((وكَما أحيا اللهُ الأبُ الصَّمَدُ المَوتى، كذلِكَ يُحيِي الابنُ الرُّوحيُّ كُلَّ مَن يَشاء)) [الإنجيل، يوحنّا 5: 21].

[٨] استنادا إلى كتاب الملوك الأول 18: 1-46.

يستحلفهم ليتأكّد من أنّهم لم يجدوك فعلا. والآن بعد كلّ ما جرى، هل تطلب مني حقا أن أخبره أنّك هنا؟! فربّما حملتك الروح الإلهية إلى حيثُ لا أدري! وأنا في طريقي إلى الملك لأخبره بوجودك، وعندما يأتي آخاب ليقبض عليك لا يجدك، فيقتلني، مع إنّي أتّقي الله وأخدمه بكلّ إخلاص مُنذ صِباي! أما بلغك عملي في سبيل الله حينما سعت الملكة إيزابال إلى الفتك بأنبياء الله؟ فقد خبّأتُ منهم مئة في مغارتين، في كل مغارة خمسون، وأتيتهم بالطعام والشراب. فهل ترضى يا نبي الله أن أذهب إلى الملك وأخبره بوجودك هنا؟ سيقتُلني بلا شكّ!" فأجاب إلياس (عليه السّلام): "إنّي خادم الله العزيز القدير، أقسم باسمه تعالى أنّي سأرى الملك آخاب اليوم". فذهب عُبيد الله إلى الملك آخاب وأخبره بمكان إلياس النبيّ، فخرج الملك للقائه.

وعندما رآه صاح: "ها قد وجدتُك أخيرًا يا إلياس، إنّك سبب كلّ الويلات الّتي حلّت على بني يعقوب!" فأجابه (عليه السّلام): "كلاّ، لستُ أنا السبب، بل أنت وأهل بيتك حين رفضتم وصايا ربّكم وعبدتُم أصنام بعل[٩] من دون الله وكنتم من المشركين! والآنَ ارسِلْ إلى كلّ سكّان مملكة السامرة وادعهم إلى جبل الكَرمَل، وادع معهم كهنة بَعل الأربع مئة والخمسين، وكهنة عَشْتاروت الأربع مئة الّذينَ تعولهم الملكة إيزابال".

واحتشد الجميع في جبل الكَرمَل. ووقف إلياس (عليه السّلام) أمامهم وخاطبهم: "حتّام تتأرجحون بين موقفين متناقضين؟ إن كان الله هو الحقّ فاتّخذوا نحوه طريقا واسلكوه، وإن كان بَعل هو الحقّ فاتبعوه". وخيّم على الحضور صمت ثقيل. فتابع النبي إلياس قائلاً: "لم يتبقَّ من أنبياء الله سواي، أمّا بَعل فله من الكهنة أربع مئة وخمسون. وسنرى الآن من منّا على الحق اليقين. احضروا ثورَين، ليختار كهنة بَعل منهما ثورا وليقطعوه وليضعوه على الحطب، ولا يُشعلوا تحته النيران، وإنّي فاعل بالثّور الآخر ما يفعلون، ثمّ ليدع الكهنة بعل الذي يعبدون، وليستغيثوا به، وإني لمستغيث بالله رب العالمين. وإن استجاب بعل وأرسل نارًا لتأكل ثور الكهنة فهو الربّ المبين، أمّا إذا استجاب الله ربي وأرسل نارا إلى الحطب فهو الله لا إله إلاّ هو ربّ

---

[٩] ذكر الطبري في تاريخه: "كان سائر بني إسرائيل قد اتّخذوا صنمًا يعبدونه من دون الله، يقال له: بَعْلِ".

العالمين." فاستحسن الحضور قول إلياس النبيّ. وطلب إلياس (عليه السّلام) من كهنة بَعل قائلا: "أنتم تفوقونني عددا، فاختاروا قبلي ثورًا واحدا، واذبحوه هيّئوه على الحطب ولا تشعلوه، ثم نادوا بعلا واستغيثوه". ففعلوا كما أمرهم، واستغاثوا بَعل من الصّباح إلى الظُّهرِ هاتفين: "يا بَعل، استجِب لنا". وكانوا حول المَذبح الّذي بنوه يرقصونَ، ولكن لا سميع ولا مُجيب.
وعند الظهيرة قال لهم النبي إلياس مستهزئا: "استصرخوه، وبصوت أعلى نادوه! لعل ربّكم شارد الذهن في السماء أو يقضي حاجته في الخلاء أو سافر فلم تسمعُوه، أو ربّما يكون نائما وعليكم أن توقِظوه!" فتعالت أصواتهم في صراخ يغزو الفضاء، و وفقا لشعائرهم جرحوا أجسادهم بالسّيوف والأسياخ حتّى سالت منها الدماء. واستمرّوا حتّى موعد قربان العصر في الصراخ والنحيب، ولم يأتهم ردّ، فما من سميع ولا من مجيب.
ثمّ قال النبي إلياس للحاضرين: "اقترِبوا منّي". فتحلّقوا حول مَذبح الله المنذور، ورمّم حجارته وأخذ من الحجر اثني عشر حسب عدد عشائر بني يعقوب. وبنى بها مذبحا لعبادة الله السميع المجيب، وحفر حوله خندقا يسع نحوَ دلوَين من الماء. ثمّ رتّب عليه الحطب. وقطّع الثور أجزاء أجزاء، ووضعها على الحطب، وقال: هيّا املأوا أربع جرار ماء، واسكبوها فوق اللحم والحطب" وأمرهم أن يعيدوا الكرّة مرّتين. فجرى الماء حول المَذبح وملأ الخندق.
وعند العصر حان الوقت لإحراق الثور قربانا لله، فاقترب النبيّ إلياس من المذبح، واستغاث ربّه وناداه: "اللّهمّ يا ربّ إبراهيم وإسحق ويعقوب، اليوم تثبت أنّك ربّ هذه الأمّة، وأنّي عبدك الّذي أنجز كلّ هذه الأمور وأنا طوع أمرك. اللهمّ استجب لدعائي، ليعلم كلّ الحاضرين أنّك أنت ربّ العالمين، وأنّك جعلتَهم يتوبون إليك بقلب مُنيب".[1] وفي الحال أنزل الله نارًا ملتهبة سرعان ما التهمت الأضحية والحطب والحجارة والتراب وامتدّت إلى الماء الّذي في الخندق!
وعندما رأى ذلك الحاضرون سجدوا على الأرض هاتفين: "لا إلهَ إلاّ الله!

---

[1] انظر سورة الصافات: 124-126.

لا إلهَ إلاّ الله!" فأمرهم إلياس (عليه السّلام): "اقبضوا على كهنة بَعل، ولا تدعوا أحدا يفلت منكم!" فقبضوا عليهم جميعا، وساقهم النبيّ إلياس إلى وادي قيشونَ وهناك قتلهم جميعا.[٢]

ثمّ قال إلياس (عليه السّلام) لآخاب: "والآن، لك أن تأكل وتشرب، لأنّي أسمع صوت هطول المطر". وأطاع الملك آخاب ما قاله إلياس، وصعد النبي إلياس إلى قمّة جبل الكرمَل وركع هناك وصلّى. وحين فرغ من صلاته، قال لخادمه: "يا فتى انظر نحو البحر وارتقب". ففعل ما أمره به سيّده، وعاد إليه قائلا: "لم يظهر لي شيء يا سيّدي". فأمره ثانية وثالثة وسادسة والخادم لا يرى غير البحر وسماء صافية، وفي المرّة السابعة قال لسيده: "إنّي رأيت ناحية البحر شيئا بحجم راحة الكفّ كأنه السحب". فهتف إلياس (عليه السّلام) وقال: "اسرع إلى الملك آخاب وأخبره أن يستعجل الركوب في مركبته وأن يعود إلى قصره حتى لا تعطّله الأمطار!" وسرعان ما تلبّدت السماء بالغيوم، وهبّت رياح عاتية، وانهمرت الأمطار بغزارة. فركب الملك آخاب مركبته وعاد بسرعة إلى قصره في يَزرَعيل. ولكنّ النبي إلياس وصل قبله، لأنّ الله بسط قدرته لعبده إلياس وأيّده، فشدّ وسطه بحزام وجرى وسبق المركبة.

فرار النبي إلياس[٣]

ولمّا وصل الملك إلى القصر أخبر زوجته إيزابال بكلّ ما فعله إلياس (عليه السّلام)، وكيف قتل بسيفه جميع كهنة بَعل. فأرسلت إلى النبي إلياس هذه الرسالة: "ليت الآلهة تنزل عليّ أشدّ عقاب، إن لم أقتلك غدا قبل هذه الساعة كما قتلتهم!" فخاف إلياس (عليه السّلام) وهرب إلى أقصى جنوب بلاد

---

(٢) اعتقد الحواريون أنّ سيدنا عيسى جاءهم ليواصل العمل الذي قام به النبي إلياس. وفي أحد الأيام زار المسيح وحواريوه قرية سامرية لنشر الرسالة، وكان اليهود يعتبرونهم أعداءهم منذ زمن طويل. لذلك رفض أهل تلك القرية استقبالهم، فاقترح الحواريون على السيد المسيح ما يلي: ((أيا سَيِّدَنا، أتأذنُ لنا فنَطلُبَ نارًا تَنزِلُ مِن السّماءِ فتُهلِكَهُم كَما فَعَلَ قَديمًا النَّبيُّ إلياسُ؟!)) لكنّ السيد المسيح نهرهم ووبخهم [الإنجيل، لوقا 9: 54]. وبهذه الكلمات أراد سيدنا عيسى أن يظهر لأتباعه أن من مقاصد الله رحمة جميع الناس بما في ذلك أعداءهم.

(٣) استنادا إلى كتاب الملوك الأول 19: 1-18.

يَهوذا، إلى بئر السبع لينجو بحياته، وترك خادمه هناك.
وسار وحده يوما كاملا في البريّة حتّى بلغ شجرة رَتَمَة، فجلس تحتها وتمنّى أن تأتيه المنيّة قائلاً: "اللهمّ إنّي سئمت الحياة. فخُذْ روحي، فلست أفضل من آبائي الراحلين". ثمّ استلقى تحت الشجرة ونام. وفجأةً أيقظه ملاكٌ وقال له: "قُمْ وكُلْ". فنظر حوله فرأى عند رأسه رغيفا مخبوزًا على الجمر وجرّة ماء، فأكل وشرب وعاد إلى نومه. فأيقظه الملاك ثانية وقال له: "كُلْ مرّة أخرى، فأمامك رحلة طويلة تفوق طاقتك". فقام النبي إلياس وأكل وشرب. وأعطاه هذا الطعام قدرة على المسير، فسار أربعين يوما بلياليها إلى جبل طور، جبل الله القدير.
وقضى ليلته في مغارة وجاءه وحي من الله: "لماذا أنت هنا يا إلياس؟" فردّ قائلا: "أيّها العزيز القدير، لقد سلكت سبيلك بكلّ حماس، أمّا بنو يعقوب فنكثوا ميثاقك، وهدموا كلّ مكان تُحرق لك فيه القرابين، وقتلوا أنبياءك المختارين، وها أنا وحدي مخلصٌ لك أمينٌ، وها هم الآن يسعون إلى قتلي!" فأوحى الله إليه: "قِفْ على قمّة الجبل وانظر كيف يتجلّى لك ربّك العظيم". ثمّ هبّت ريح عاتية زعزعت الجبال وحطّمت الصخور، ولكنّ الله لم يتجلّ في الريح. وبعد الريح تزلزلت الأرض، ولكنّ الله لم يتجلّ في الزلزال. وبعد الزلزال اشتعلت نارٌ، لكنّ الله لم يتجلّ في النار أيضا. وبعد النار حلّت السكينة. ولمّا شعر النبي إلياس بالسكينة، غطى وجهه بعباءته ووقف في مدخل المغارة وأوحى الله إليه: "لماذا أنت هنا يا إلياس؟" فردّ مرّة أخرى: "أيّها العزيز القدير، لقد سلكت سبيلك بكلّ حماس، أمّا بنو يعقوب فنكثوا ميثاقك وهدموا كلّ مكان تُحرَق لك فيه القرابين، وقتلوا أنبياءك المختارين، وها أنا وحدي مخلصٌ لك أمينٌ، وها هم الآن يسعَون إلى قتلي!" فأوحى الله إليه: "عد أدراجك إلى البراري قرب دمشق، وستجد هناك رجلا يدعى حَزائيل، فامسَحْه بالزيت دليلا على أنّي اخترته ملكا على مملكة آرام.
وامسَحْ بالزيت أيضا ياهو بن نَمشي دليلا على أنّي اخترته ملكا على مملكة السامرة، وامسَحْ بالزيت أيضا اليَسَع بن شافاط مِن بلدة آبل مَحولَة دليلا على أنّي اخترته نبيًّا خلفًا لك. وكلّ عبدة بَعل من قومك الناجين مِن سيف حَزائيل يقتلهم ياهو، وكلّ الناجين من سيف ياهو يقتلهم النبي اليَسَع. وسيكون إلى

جانبك سبعة آلاف شخص اصطفيتُهم من بلاد السامرة، لم يَركعوا لبَعل ولم يُقبّلوا صنمه!"

اليسع يلتحق بالنبي إلياس[٤]

فانطلق إلياس (عليه السّلام) ليفعل ما أمره به تعالى، وفي طريقه وجد اليَسَع (عليه السّلام) يحرث حقلا وأمامه اثنا عشر زوجًا من البقر، يفلح على كلّ زوج منها واحد من رجاله، أمّا هو فكان يفلح مع الثاني عشر. فاقترب منه النبي إلياس واختاره خلفًا له إذ ألقى عليه عباءته، ومضى في سبيله. فترك اليَسَع (عليه السّلام) محراثه وسعى خلف النبي إلياس وقال له: "أرجوك يا سيّدي دَعني أودّع أبي وأمّي، ثمّ أكون تابعا لك أمينا". فقال له النبي إلياس: "لك ذلك ولا تنس أني ألقيت عليك عباءتي." وعاد اليَسَع (عليه السّلام) إلى ثيرانه وذبح منها اثنين وكسر محراثه الخشبي وجعله حطبا وطبخ من لحمهما. ثمّ نادى الناس إلى وليمة الوداع فأكلوا منها. ثمّ التحق بالنبي إلياس وكان له في رسالته مساعدا مأمونا.

الملك آخاب يستولي على حقول نابوت[٥]

كان قصر الملك آخاب في مدينة يزرعيل مجاورا لحقول كروم يملكها رجل يُدعى نابوت. وذات يوم استدعاه الملك وقال له: "حقولك قريبة من قصري، أريد أن أشتريها منك لأجعلها بستان بقول، وأعطيك بدلا منها حقولا أفضل، وإن شئت أعطيتك ثمنها نقدا." فأجابه نابوت: "لا سمح الله، كيف أفرط في ميراث أجدادي؟" وعاد الملك آخاب إلى قصره عابسا مغموما، والتجأ إلى فراشه، وجعل وجهه في اتّجاه الحائط وامتنع عن الأكل في تلك الليلة.

فسألته زوجته إيزابال: "ما بالك كئيبا حزينا حتّى أنّك امتنعت عن الأكل؟" فأجابها: "لقد خيرت نابوت إما أن يبيع لي حقول كرومه، أو أن أعطيه بدلا منها حقولا أخرى، لكنّه رفض! فأجابته زوجته: "ألست ملكا على مملكة

---

[٤] استنادا إلى كتاب الملوك الأول 19: 19-21.

[٥] استنادا إلى كتاب الملوك الأول 21: 1-29.

السامرة كلها؟ أبشر! قم وكلْ، وأنا أدبّر لك الأمر فتحصل على حقول نابوت."

وكتبت إيزابال رسالة باسم الملك إلى كلّ شيوخ المدينة وأعيانها، وختمتها بخاتمه وأرسلتها إليهم. وكتبت في الرسائل ما يلي: "أيها السادة، نادوا بيوم صوم، وأجلسوا نابوت في صدارة المجلس، وليشهد عليه زورا رجلَين سافلَين، فيتهمانه بإهانة الله والملكِ. ثمّ خذوه خارج المدينة وارجموه حتّى الموت." فنفّذ شيوخ المدينة وأعيانها أوامر إيزابال كما جاء في رسائلها إليهم. وأعلنوا يومًا للصيام وأجلسوا نابوت في صدارة الحاضرين، ثمّ جاء رجلان سافلان واتّهماه زورًا أمام الحاضرين بإهانة الله والملك. ثم أخذوه إلى خارج المدينة ورجموه بالحجارة حتّى الموت. وأرسلوا إلى إيزابال: "هلك نابوت رجما".

وحين بلغ إيزابال خبر موت نابوت، أخبرت زوجها آخاب: "يمكنك الآن أن تضمّ حقول نابوت الّتي رفض أن يبيعك إيّاها إلى قصرك، فقد هلك." وفي الحال نزل الملك آخاب إلى الحقول ليستولي عليها.

ثمّ جاء الوحي إلى النبي إلياس: "لقد وصل الآن الملك آخاب إلى حقول نابوت ليستولي عليها. فاذهب إليه وأخبره أن الله تعالى يقول: "لقد قتلتَ نابوت وسرقتَ أرضه! ولأنّك ارتكبتَ هذه الجريمة الشنيعة، فستلحس الكلاب دمك في الموقع الّذي لحست فيه الكلاب دم نابوت!"

وعندما رأى الملك آخاب النبي إلياس مُقبلا عليه، صاح قائلاً: "أخيرًا لحق بي عدوّي!" فأجابه (عليه السّلام): "نعم، اقتفيت أثرك. وبما أنّك ارتكبت من الشرور ما لا يرضي الله، فإنّ الله تعالى قد أصدر حُكمه وسيحلّ عليك البلاء، ويُباد كلّ ذكرٍ من ذريتك، عبدًا كان أم حرًّا في كلّ أنحاء السامرة. ويُهلك أهل بيتك كما هلك غيرك من الملوك المفسدين، بسبب ما اقترفته من آثام لا ترضي الله وأغويت قومك وجعلتهم آثمين. أمّا بخصوص إيزابال، فقد أمر الله تعالى أن تنهش الكلاب جثتها عند أسوار المدينة! وكلّ مَن يموت من أهلك داخل المدينة، تلتهمه الكلاب، ومن يموت خارجها، تفترسه الطيور الجارحة!" ولمّا سمع آخاب ما قاله الله في شأنه، مزّق ثيابه حزنًا وندمًا، ولبس خيشًا ليلَ نهار، وامتنع عن الأكل. وبعد فترة جاء الوحي إلى النبي

إلياس: "انظر مدى ندم آخاب على ما ارتكب! لذلك لن أعاقب أهل بيته كما توعّدتُ في أيّام حياته، بل أفعل ذلك بعد أن يعتلي ابنه عرش مملكته".
ورغم الندم الذي تظاهر به الملك آخاب، فما من أحد باع نفسه لعصيان الله كما فعل تحت تأثير زوجته إيزابال. وتمادى آخاب في فسقه فعبد الأصنام الطواغيت، شأن الأموريّين الّذينَ طردهم الله بسبب آثامهم قبل مجيء بني يعقوب إلى الأرض.
ومع مرور الوقت توفّي الملك آخاب. وفي الأثناء رافق النبي اليسع سيّده النبي إلياس الذي اختاره خلفا له عندما وضع عليه العباءة.

رفع النبي إلياس إلى السماء[٦]

وقصد إلياس واليسع (عليهما السلام) بلدة جِلجال. ولمّا حان موعد رفع النبي إلياس إلى السماء في زوبعة طلب من النبي اليسع: "الله أمرني أن أتّجه إلى بيت إيل، فابْقَ هنا". فأجابه اليسع: "أقسم بالله وبحياتك، لن أفارقك". ورافقه إلى بيت إيل. ولمّا وصلا، أقبلت على النبي اليسع جماعة من المتصوّفين المنجذبين بالروح بعد أن خرجوا من بيت إيل، فقالوا له: "ألا تعلم أنّ الله رافع عنك سيّدك اليوم؟" فأجابهم: "أجل، أعلم ذلك ولكن لا تتفوّهوا بهذا الأمر أمامي".
ثمّ طلب إلياس من اليسع: "الله أمرني أن أتّجه إلى أريحا، فابقَ هنا". لكنّ اليسع اعترض قائلاً: "أقسم بالله وبحياتك، لن أفارقك". واتّجها إلى أريحا معا. وعندما وصلا إلى هناك، أقبلت جماعة أخرى من المتصوّفين المنجذبين بالروح على النبي اليسع بعد أن خرجوا من أريحا، فقالوا له: "ألا تعلم أنّ الله رافع عنك سيّدك اليوم؟" فأجابهم: "أجل، أعلم ذلك ولكن لا تتفوّهوا بهذا الأمر أمامي". وقال النبي إلياس إلى اليسع مرّة أخرى: "الله أمرني أن أتّجه إلى نهر الأردنّ، فابْقَ هنا". ولكن النبي اليسع أجابه قائلا: "أقسم بالله وبحياتك، لن أفارقك". وواصلا طريقهما إلى نهر الأردنّ.
وتبعهما خمسون رجلا من تلك الجماعة، ولمّا وصلا إلى ضفة النهر، توقّف

---

[٦] استنادا إلى كتاب الملوك الثاني 2: 1-18.

الرجال على مسافة منهما لمراقبتهما. ثمّ أخذ النبي إلياس عباءته ولفّها وضرب بها مياه النهر فانشقّت شطرين، وعبر النّبيّان على أرض يابسة. وعندما بلغا الضفة الأخرى من النهر التفت إلياس وسأل اليسع: "ماذا عساي أن أفعل لك قبل أن يرفعني الله عنك؟" فأجابه اليسع: "أريدك أن تفضّلني على كلّ أتباعك فتمنحني ضعف القدرات الروحية التي ستهبها لهم، لأتفوّق عليهم وأكون خلفًا لك". فقال النبي إلياس: "إن ما تطلبه عسير جدا! ولكن إذا تمكنت من رؤيتي لحظة يرفعني الله عنك، يكون لك ما طلبتَ، وإذا حصل غير ذلك فما طلبته محال".

وبينما كان النبيان يسيران ويتبادلان أطراف الحديث، لاحت مركبة من نار تجرّها خيول ناريّة تباعد بينهما، وهنا عرج النبي إلياس في زوبعة إلى السماء. وعندما رأى النبي اليسع هذا المشهد العظيم أخذ يصيح: "يا مولاي، يا مولاي، يا أقوى من جيوش السامرة! كيف نستمرّ دونك؟!" وحينَ توارى النبي إلياس عن ناظريه، شقّ النبي اليسع ثيابه حزنًا عليه، والتقط عباءة النبي إلياس الّتي وقعت منه، وعاد إلى ضفّة نهر الأردنّ، وضرب بها المياه قائلاً: "هلاّ أيّدتَ عبدك يا الله يا ربّ إلياس؟" وبمجرد أن ألقى العباءة على المياه انشقّت شطرين، وعبر إلى الضفة الأخرى.

ولمّا رأت جماعة المتصوّفين المنجذبين بالروح كل ما حدث، قال بعضهم لبعض: "إنّ قوّة إلياس الروحيّة حلّت على اليسع، فخلفه!" وأقبلوا عليه وانحنوا أمامه احترامًا، وقالوا: "يا سيّدنا نحن خمسون رجلا أشدّاء فاسمح لنا أن نبحث عن سيّدك، لعلّ روح الله ألقته على أحد قمم الجبال أو في الأودية". فأجابهم النبي اليسع: "لا جدوى من بحثكم عنه". فألحّوا عليه، وفي النهاية وافق على مضض. فانطلقوا للبحث عن النبي إلياس ثلاثة أيّام لكنّهم لم يعثروا عليه. وعند عودتهم إلى مدينة أريحا، قال لهم النبي اليسع: "أما قلتُ لكم لا جدوى من بحثكم عنه؟"

معجزات النبي اليسع[٧]

وذات يوم قال أهل أريحا للنبي اليسع: "يا مولانا، إنّ موقع مدينتنا جميل

---

[٧] استنادا إلى كتاب الملوك الثاني 2: 19-25.

كما ترى، ولكن ماءها رديء يسبّب الجدب والعُقم". فقال لهم: "أحضِروا لي وعاءً جديدًا وضعوا فيه مِلحا". فأتوه بما طلب. ثمّ اتّجه إلى منبع الماء وألقى فيه الملح قائلاً: "قال الله تعالى: "جعلنا هذه المياه صالحة للشرب، فلا تسبّب الموت ولا الجدب ولا العقم بعد الآن"". وهذه المياه صالحة إلى يومنا هذا، كما أنبأ النبي اليسع.

وخرج اليسع (عليه السّلام) من أريحا متّجها إلى بيت إيل وفي طريقه إلى هناك، صادف بعض شبّان المدينة يصرخون ساخرين منه: "ابتعد من هنا يا أقرع! ارحل من هنا يا أقرع!" فحدق بهم مليّا، ثمّ لعنهم باسم الله، فخرجت دُبّتان من الغابة وافترستا اثنين وأربعين منهم.

وتابع النبي اليسع سيره إلى جبل الكَرمَل. وفي النهاية عاد أدراجه إلى عاصمة السامرة.

النبي اليسع والأرملة[٨]

وذات يوم أقبلت أرملة أَحَدِ المتصوّفين المنجذبين بالروح على اليسع (عليه السّلام) وطلبت منه الغوث قائلةً: "يا سيّدي، أنت تعلم أنّ زوجي الراحل خدمك بإخلاص وكم كان تقيّا. لكنّه ترك دينا، وجاء صاحب هذا الدين وهدّدني بأخذ ابنيَّ عَبدَين له إذا لم أسدّد ما علي!" فأجابها اليسع (عليه السّلام): "كيف أستطيع مساعدتك؟ أخبريني ما الّذي تملكينه في بيتك؟" فأجابت: "لا أملك شيئًا إلاَّ كوز زيت". فقال لها (عليه السّلام): "اطلبي من جيرانك عددا كبيرا من الأوعية الفارغة. ثمّ ادخُلي البيت مع ابنيك وأَغلقي الباب بإحكام، واسكبي ما عندك من زيت في جميع الأوعية، وكلّما امتلأ إناء منها ضعيه جانبا". فذهبت إلى بيتها، وفعلت ما أمرها به النبي اليسع. وقدّم لها ابناها الأوعية حتّى تملأها زيتا. وعندما ملأوا كلّ الأوعية، قالت لأحد ابنيها: "ناولني وعاء آخر." فأجابها: "لا، هذا آخرها جميعًا". وفي الحال توقّف الزيت. فاتّجهت إلى النبي اليسع وأخبرته بكلّ ما جرى، فقال: "اذْهبي وبيعي ما جمعت من زيت وسدّدي دينك، وسيتبقّى لك من المال ما يكفيك لتعيشي مع ابنيك".

---

[٨] استنادا إلى كتاب الملوك الثاني 4: 1-7.

النبي اليسع يحيي ولدا في بلدة شونم[٩]

ذات يوم بينما كان النبي اليسع (عليه السّلام) في بلدة شُونَم، ألحّت عليه امرأة ذات شأن أن يتناول العشاء في بيتها، فلبّى طلبها. ومنذ ذلك اليوم دأبت على دعوته كلّما مرّ بشُونَم. وذات مرّة قالت لزوجها: "أنا على يقين أنّ هذا الرجل الّذي يمرّ بنا من حين لآخر، وليّ من أولياء الله الصالحين. فلنجعل له غرفة صغيرة على سطح بيتنا، ونجهزها بسرير ومائدة وكرسيّ ومصباح، حتّى يبيت فيها كلّما مرّ من هنا".

ولمّا عاد إليهم النبي اليسع في المرّة التالية، صعد إلى غرفته ليرتاح فيها. وطلب من خادمه جيحَزي: "أخبر هذه المرأة أنّي أريد الحديث إليها". وعندما جاءت وقفت عند الباب، فقال النبي اليسع لخادمه: "أخبرها أنّنا نقدّر كلّ التعب الّذي تكبّدته من أجلنا، فكيف نردّ لك هذا المعروف؟ وهل لديكِ طلب نرفعه إلى قائد الجيش أو جلالة الملك؟" فأجابت: "أنا بين أهلي وهم يعتنون بي خير اعتناء". ولمّا انصرفت سأل النبي اليسع (عليه السّلام) خادمه من جديد: "كيف نردّ لها معروفها؟" فأجابه: "لا ولد لها، وزوجها بلغ من الكبر عتيًّا". فقال (عليه السّلام): "ادعوها مرّة أخرى". فعادت المرأة ووقفت عند الباب. فقال لها اليسع (عليه السّلام): "في مثل هذا الوقت من السنة القادمة، تحضنين ابنك بين ذراعيك". فصاحت: "أرجوك يا مولاي! يا نبيّ الله! لا تجعلني أسعد، فما تقوله مستحيل!" وبعد فترة حبلت المرأة فعلا وأنجبت ولدًا في الأجل المحدّد، تمامًا كما تنبأ اليسع (عليه السّلام).

وكبر الولد وصار صبيا، وذات يوم لحق بأبيه الّذي يشرف على الحصّادين في الحقول، وبينما كان مع أبيه، صرخ فجأةً: "آه! رأسي! رأسي يؤلمني!" فقال أبوه لأحد خدامه: "احمِلْه إلى أُمّه". فحمله إلى أمّه، وبقي في حضنها، لكنّه فارق الحياة عند الظهر. فصعدت به إلى غرفة النبيّ اليسع ومدّدته على السرير، وأغلقت الباب وخرجت. ثمّ أرسلت إلى زوجها مَن يخبره: "أرسِلْ لي خادما ومعه دابّة، لكي أسرع إلى نبيّ الله وأعود في الحال". فقال لها: "لِمَ كلّ هذه العجلة لاستشارة نبي الله، واليوم لا يقابل احتفال فاتح الشهر، أو يوم

---

[٩] استنادا إلى كتاب الملوك الثاني 4: 8-37.

سبت؟" فأجابته: "لا تشغل بالك، ما ذهابي إلا للخير". وأسرجت الدابّة وقالَت لخادمها: "انطلق بسرعة! ولا تتوقّف حتّى آمرك!" وانطلقت في الحال إلى جبل الكرمَل لتستنجد بالنبي اليسع الّذي لمحها قادمةً من بعيد فقال لخادمه جيحَزي: "أُنظرْ إنّها تلك المرأة من بلدة شونم، فاسرِع إليها في الحال واسألْها عن أحوالها وأحوال عائلتها". لكنّها قالت للخادم جيحَزي: "كلّنا بخير إن شاء الله". وعندما وصلت إلى النبي اليسع في قمّة الجبل، تشبّثت بقدميه، فحاول جيحَزي أن يدفعها عنه، ولكنّ النبي اليسع منعه من ذلك، قائلاً: "دعها وشأنها! إنّ حزنها عميق، والله لم يكشف الأمر لي، بل أخفاه". فصرخت بعمق: "لم أطلب منك ولدا يا مولاي! أما رجوتُك ألا تجعل السعادة تغمرني إلى حين؟" فأمر اليسع (عليه السّلام) خادمه جيحَزي: "تهيّأ للرحيل! خُذ عصاي في يدك واخرج بسرعة! ولا تحدّث المارّة في الطريق. وعندما تصل ضع عصاي على وجه الصبيّ". ولكن أمّ الصبيّ اعترضت قائلة: "أُقسم بالله الحيّ القيّوم وبحياتك لن أفارقك!" فرافقها النبي اليسع (عليه السّلام) إلى بيتها. أمّا الخادم جيحَزي فسبقهما إلى البيت ووضع العصا على وجه الصبيّ، ولكن دون جدوى. وعاد إلى النبي اليسع وأخبره: "الولد ما زال على حاله".

ولمّا دخل النبي اليسع غرفة الصبيّ وجده جثّة هامدة فوق سريره. فأوصد الباب دونه وتضرّع إلى الله. ثمّ تمدّد فوق جثمان الصبيّ ووضع فمه على فمه وعينَيه على عينيه ويديه على يديه، فأخذ الدفء يسري في جسم الصبي. ثمّ قام النبي اليسع وجال في الغرفة مرّة، وتمدّد فوق الصبيّ، وهنا عطس الصبيّ سبع مرّات وفتح عينيه. فنادى خادمه وطلب منه أن يحضر أمّ الصبيّ! فحضرت في الحال، وعندما دخلت قال لها: "تفضّلي، احملي ابنك بين ذراعيك!"[1] فانحنت اعترافا بالفضل والجميل، ثمّ حملت ابنها بين ذراعيها وانصرفت.

---

[1] هنا أعاد الله هذا الصبي الميت إلى الحياة عن طريق دعاء نبيه اليسع، شأن ما فعله مع النبي إلياس. انظر الهامش في هذه القصّة - "إلياس (عليه السلام) في بلدة الصرفند".

النبي اليسع والطعام المسمّم[٢]

ورجع اليسع (عليه السّلام) إلى بلدة جِلجال، وكانت المجاعة قد اشتدّت. وفي يوم من الأيام، وبينما كان النبي اليسع يعلّم جماعةً من المتصوّفين المنجذبين بالروح الذين يجلسون أمامه، طلب من خادمه: "ضع القدر الكبير على النار، واطبخْ طعاما لهذه الجماعة". فخرج أحد الحاضرين إلى البريّة ليلتقط بقولاً، فصادف نبات الحنظل فقطف منه كميّة كبيرة، وجاء به فقطّعه ووضعه في القدر، وهو لا يعلم أن ما قطفه سامّ. ولمّا همّ الرجال بأكل اللقمة الأولى من الطّبيخ، صاحوا: "أيّها النبيّ إنّ هذا الطعام مسموم!" ورفضوا أن يأكلوا منه. فطلب النبي اليسع دقيقا، وألقاه في القدر ثمّ أمر خادمه: "قدّم هذا الطعام للرجال الآن". فأكلوا منه ولم يصِبهم أيّ مكروه.

النبي اليسع يطعم مئة رجل[٣]

وفي يوم من الأيام أقبل رجل من بلدة بَعل شَليشَة على النبي اليسع، حاملا معه عشرين رغيفًا من خبز بواكير حصاد الشعير وكميّة من الحبوب. فطلب منه النبي اليسع قائلا: "أعطِ الجماعة ليأكلوا منه". فقاطعه خادمه قائلاً: "هذه الكمية لا تكفِينا، فنحن مئة رجل!" أمّا اليسع (عليه السّلام) فقال مؤكدا: "أعطِ الجماعة ليأكلوا منه، فالله تعالى يقول: "إنّهم يأكلون منه ويزيد عن حاجتهم"". وعندما وزّع الخادم الطعام، أكلوا منه وزاد عن حاجتهم كما وعد الله تعالى.[٤]

القائد نعمان يُشفى من البرص[٥]

كان نُعمان قائد جيش مملكة آرام في بلاد الشام، وأكرمه سيّده ملك آرام

---

[٢] استنادا إلى كتاب الملوك الثاني 4: 38-41.

[٣] استنادا إلى كتاب الملوك الثاني 4: 42-44.

[٤] إنّ هذه المعجزة التي أجراها الله على يدي اليسع مدهشة. بينما سيدنا المسيح أتى بمثلها وكرّرها عندما أطعم 5000 شخصا، وأيضا عندما أطعم 4000 شخصا. وفي كلّ مرّة يزيد الطعام عن حاجة الحاضرين، كما نرى هنا في هذه المعجزة. انظر الإنجيل، متّى 14: 20 و15: 37.

[٥] استنادا إلى كتاب الملوك الثاني 5: 1-27.

كثيرا، لأنّ الله ثبت عزمه فحقّق لمملكته نصرًا كبيرا. ورغم أنّه محارب شديد البأس، إلاّ أنّه كان يعاني من البرص. وذات يوم خرج بعض الجنود إلى الغزو، وسبوا فتاة صغيرة من مملكة السامرة، وأصبحت من خدم زوجة نُعمان. وذات مرّة قالت لمولاتها: "ليت سيّدِي يتّجه إلى بلدي ليشفيه نبي هناك من برصه!" فأخبر نُعمان سيّده الملك بما قالت الفتاة. فأجابه الملك: "لا بدّ أن تذهب إلى ملك السامرة واحمل معك هذه الرسالة". فأخذ نُعمان معه ثلاثينَ ألف قطعة من الفضّة وستّة آلاف قطعة من الذهب، وعشر حلل من الثياب، وانطلق. وكان مضمون الرسالة ما يلي: "أرسلتُ إليك نُعمان قائد جيشي مع هذه الرسالة، فأرجو منك أن تشفيه من برصه". وعندما قرأ ملك السامرة ما جاء في هذه الرسالة، مزّق ثيابه من هول الفاجعة، وقال: "كيف يطلب مني هذا الرجل أن أشفي مصابا بالبرص؟ هل أحلّ محل الله المحيي المميت؟ لا شكّ أنّه يريد أن يحرّضني ليبرّر اجتياحه لبلادنا!"

فلمّا سمع النبي اليسع (عليه السّلام) بكلّ ما جرى، أرسل إلى ملِك السامرة يقول: "لماذا ارتعبت يا مولاي؟ أرسل نعمان إلى هنا، فيعلم علم اليقين أنّ نبيّا حقيقيّا يوجد في مملكة السامرة!" فأقبل نُعمان بخيله ومركباته وعندما وصل إلى بيت النبي اليسع، وقف عند الباب. ولم يخرج النبي اليسع للقائه وإنّما أرسل إليه خادمه ليقول له: "اِذهبْ إلى نهر الأردنّ واغتسلْ في مياهه سبع مرّات، فيتعافى جسمك ويزول عنك البرص". فانتاب نُعمان غضب شديد وأخذ يتمتم: "لماذا لم يخرج للقائي؟ كنتُ أحسب أنّه يقف أمامي ويتضرّع باسم ربّه، ويلوّح بيده فوق موضعِ البرص، فيشفيني. إنّ مياه نهري دمشق: أبانَة وفَرفَر، أفضل من كلّ أنهار مملكة السامرة! لِمَ لا أغتسل فيهما، فأشفى؟" ومضى في غضبه. فلحق به الرجال المرافقين له قائلين: "يا سيّدنا، لو طلب منك هذا النبيّ أمرا عسيرا، أما كنتَ فاعله؟ ألا يجدر بك طاعة أمره فتغتسل، وتُشفى؟" فاتّجه نُعمان إلى نهر الأردنّ، واغتسل في مياهه سبع مرّات، كما أمره النبي اليسع، فتعافى جسمه وعاد جلده نضرا كطفل صغير.

ثمّ اتّجه نعمان ورجاله إلى النبي اليسع، ولما وقفوا أمامه قال نعمان: "أنا على يقين الآن أن الله الّذي تعبدونه هنا، هو الأحد الصمد لا إله إلاّ هو في

الأرض كلّها، فيا سيّدي أرجوك أن تقبل منّي هذه الهديّة". أجابه اليسع (عليه السّلام): "أنا عبد الله الحيّ القيّوم، وأُقسم به تعالى لن أقبل هدايا". ورفض النبي اليسع كل الهدايا، رغم أنّ نعمان ألحّ عليه. فقال نُعمان: "لكن يا سيّدي، لقد قررتُ أن أعبد الله ربّكم، فاسمح لي بأخذ كميّة من تراب أرضكم، وعليه أقدّم القرابين والأضاحي لله دون سواه. لكن أرجو من الله أن يغفر لي أمرا واحدا، فإذا رافقتُ ملك آرام ليسجد في مَعبد الإله رِمّونَ، وسند نفسه على كتفي فسأضطر للسجود معه، فليت الله يغفر لي هذا الأمر". فطمأنه النبي اليسع: "لا عليك، اِذهبْ في أمان الله".[٦] ومضى نُعمان في طريقه، ولمّا ابتعد مسافة قصيرة، قال جيحَزي خادم النبي اليسع في نفسه: "ما خطب مولاي! كان ينبغي أن يأخذ الهدايا من الآرامي! أقسم بالله إنّي أقتفي أثره وآخذ منه بعض الهدايا". فركض جيحَزي وراءه، وعندما تفطّن إليه نُعمان نزل عن مركبته، وقال له: "خيرٌ قدومك إن شاء الله!" فأجابه جيحَزي: "كلّ الخير، لقد أرسلني إليك سيّدي لأخبرك أنّ اثنين من جماعة المتصوّفين المنجذبين بالروح قد وصلوا الآن من جبل أفرايم يطلبون مساعدة، قيمتها ثلاثة آلاف قطعة من الفضّة وحُلّتين من الثياب". فأجابه نُعمان: "لك ما طلبت، ولكن خذ ضعف الفضة إن شئت!" ولمّا ألحّ عليه، صرّ الفضّة في كيسَين مع حُلّتَين من الثياب، وأمر اثنين من خدمه أن يحملاهما ويرافقا جيحَزي. ولمّا وصلوا القلعة الّتي يقيم فيها اليسع (عليه السّلام)، صرف جيحَزي الخادمين بعد أن أخذ منهما الكيسَين وأخفاهما في البيت. ثمّ ذهب إلى النبي اليسع، الّذي بادره بالسؤال: "أينَ كنتَ يا جيحَزي؟" فأجابه: "ما ذهبتُ إلى أيّ مكان يا سيّدي". لكن النبي اليسع أجابه صارمًا: "ألا تعلم أنّ روحي سبقتك إلى هناك حينَ نزل نُعمان عن مركبته لاستقبالك؟ هل تستغلّ مناسبة كهذه لتستولي على المال فتشتري به بساتين وزياتين وكروم وغنم وبقر وخدم؟ ولأنّك فعلتَ ما فعلتَ، فإنّك تعاني أنت ونسلك من برص نُعمانَ

---

[٦] ذكر سيدنا المسيح هذه المعجزة للنبي اليسع لكي يبرهن لمستمعيه اليهود أنّ الله دائما يحيط الناس من جميع الأمم بعنايته، بما في ذلك أعداء بني يعقوب. فقال: ((فقد كانَ في بَني إسرائيلَ في زَمَنِ النَّبيِّ اليَسَعَ مُصابونَ بالبَرَصِ كُثُر، ولكنّ اللهَ لم يَشفِ على يَديْ نَبيّهِ واحدًا مِن بَني إسرائيلَ المُصابينَ بالبَرَصِ بل شَفى نُعْمانَ الغَريبَ السّوري)) [الإنجيل، لوقا 4: 27].

إلى الأبد!" وقبل أن يهمّ جيحَزي بالمغادرة أصبح جلده أبرص كالثلجِ.

وعاش النبي اليسع (عليه السلام) فترة طويلة في السامرة وخلالها جرت على يديه معجزات عديدة.

وفاة النبي اليسع[٧]

ولكنّه (عليه السّلام) أُصيب بمرض شديد شارف من خلاله على الموت، فعاوده يوآش ملك السامرة، وقال له: "يا مولاي! يا مولاي، يا أقوى من جيوش السامرة! كيف نستمرّ بدونك؟" فطلب منه النبي اليسع أن يأخذ قوسا وسِهاما، فأخذ. ولمّا أمسك الملك بالقوسِ، وضع النبي اليسع يده على يد الملك وأمره أن يفتح النافذة المطلّة على جهة الشرق ويصوب السهم نحوها، ففعل. ثمّ أعلن اليسع (عليه السّلام): "هذا السهم يرمز إلى نصر من الله على آرام، إنّك تضرب الآراميّين في مدينة أفيق فتبيدهم." ثمّ أمر الملك أن يأخذ بقية السهام ويضرب بها نحو الأرض. فضرب ثلاث مرّات وتوقّف. فغضب عليه النبيّ قائلا: "لو ضربتَ خمس مرّات أو ستّ، لكنتَ ضربتَ الآراميّين فأبدتهم إلى الأبد. لكنك تهزمهم ثلاث مرّات فقط. ولمّا توفّي النبي اليسع دُفن خارج المدينة. وفي أحد الأيام كان بعض الناس من بني يعقوب يدفنون جثمانا، ولمّا رأوا غُزاة من بلاد موآب -الّذين دأبوا على غزو بلادهم كل ربيع- قادمين نحوهم رموا الجثمان في قبر النبي اليسع وفرّوا هاربين، وما كاد الجثمان يمسّ عظام اليسع (عليه السّلام) حتّى عاد الميت إلى الحياة ولحق بقومه!

وكانت هذه آخر معجزات النبي اليسع الذي كان عظيما في معجزاته، فكشف عظمة الله تعالى وقدرته على امتداد حياته وحتى بعد مماته.

---

[٧] استنادا إلى كتاب الملوك الثاني 13: 14-21.